اللغة العربية فى إيران

تأليف

بروس آينجهام
معهد الدراسات الشرقية والإفريقية
لندن

ترجمة وتقديم

د. أحمد مصطفى أبو الخير
د. أحمد فريد عبد الشافى
جامعة المنصورة

1424هـ
2003م
www.geocities.com/abu_elkher

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجَمَيْن

بقلم الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير

ترجمن قبل ذلك مقالة : (اللغة العربية فى أندونيسيا) للمستشرق الهولندى يوهان مولمان ثم أردفناها بالعربية بين اليهود ، والعبرية بين العرب ، فى فلسطين المحتلة ، وها نحن الآن نقدم الموضوع الثالث حول اللغة العربية فى إيران ، وكل هذى الموضوعات المترجمات عن الإصدار الخاص للمجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقى ، والذى جاء تحت عنوان : Arabic outside the Arab World منشوراً بالإنجليزية فى الحاضرة الهندية (دلهى الجديدة) .

وتقع جمهورية إيران جنوب غرب آسيا ، مساحتها الآن 645.000 كم[1] ، عدد السكان سبعون مليونا ، من المتوقع أن يزيد إلى تسعين مليونا سنة 2010م [2] .

هاتيك الجمهورية جزء من الإمبراطورية الفارسية العربية القديمة ، ظل اسمها هكذا (فارس) حتى سنة 1935م عندما قام الشاه رضا بهلوى [3] الأب بتغيير هذا الاسم الموغل فى القدم والعراقة إلى الاسم الجديد (إيران) ومعناه (منشأ الآرين) نسبة إلى الشعوب الآرية التى[4] سكنت هذه المنطقة فى وقت مبكر جداً من التاريخ ، وأصبح إقليم (فارس) أحد الأقاليم الإيرانية ، يقع الآن جنوب غرب الجمهورية ، غير بعيد من الخليج .

وكانت هذى المقالة المترجمة – بروس آينجهام – يقسم موضوعه إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، هى :

- العلاقات الفارسية العربية .
- لهجات العرب فى إيران .
- الفصحى التى يتعلمها الإيرانيون .

---

[1] – مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير 1 / 647 .

[2] – العيسوى ، د. فايز : أسس الجغرافيا البشرية ، ص 418 .

[3] – بعد حكم استمر 16 سنة غادر رضا بهلوى فى سبتمبر 1941 بلاده إلى موريشيوص – شرق القارة الإفريقية – ومنها إلى جوهانسبرج فى جنوب إفريقية حتى مات 1944 فدفن بالقاهرة ، وبعد خمس سنوات مقبورا فى مصر نقل إلى (الرى) بالقرب من الحاضرة الإيرانية (طهران) 1949م ، انظر : السبكى ، د. آمال ، تاريخ إيران السياسى بين ثورتين (1906 – 1979) ص 97 ، عالم المعرفة الكويت ، أكتوبر 1999م .

[4] – رمضان ، د. مصطفى : المسلمون فى آسيا الوسطى ، ص 86 ، القاهرة 1994م .

أولاً : العلاقات الفارسية العربية :

يشير الباحث إلى حقيقة مهمة ، ألا وهى عمق العلاقات بين الشعبين المتجاورين ، هذى العلاقات التى ضربت بجذورها فى أعناق التاريخ ، قبل الإسلام بفترات طـويلات ، مستشـهد على ما يقول بما يلى :

1- دخول عديد من الكلمات الفارسية إلى العربية ، بل استعملت كثير من هاتيك الكلمـات فى القرآن الكريم (استبرق – تنّور) مثلاً .

وعلى الجانب الآخر فإن الكلمات العربية فى الفارسية وصلت إلى حد أن عديدا منها لا مرادف لها فى الفارسية ، أو بعبارة أخلى فإن من غير الممكن الاستغناء عنها ، جدير بالذكر أن الكلمات المقترضة من العربية تقدر بما يزيد عن خمسين فى المائـة مـن المعجـم الفارسـى المعاصر ، يقول الدكتور صادق العبادى [1] – باحث إيرانى – عن لغته : " لقـد كانـت اللغـة الفارسية القديمة لغة ضعيفة ، ولكن بفضل العربية ... تحولت الفارسية إلى لغة أدبية وعلمية ، استطاعت أن تغنى الثقافة الإسلامية بآلاف الكتب ... إن أثر العربية فى لغتنا واضح جداً فـى حروفها ومفرداتها ومصطلحاتها المعاصرة " .

لقد أصبحت هذى الكلمات المقترضة جزءا لا يتجزأ من الفارسية ، وليست دخيلة عليها، ويضيف الدكتور جعفر شهيدى – أديب ومحقق إيرانى : " منذ ألف عام ولسباب كثيرة استعارت لغتنا من العربية كلمات تنسجم معها ، لقد أصبحت هاتيك الكلمات جزءا لا يتجزأ من الفارسـية ... إنها ليست كلمات غريبة ، إنما هى كلمات فارسية ، إنها جزء لا يتجزأ من تراثنا وتاريخنا وأدبنا ، إن وجود هذى الكلمات – ذات الأصل العربى – لا يضر بلغتنا وإنما هى جـزء مـن رأسمال أدبنا " .

2- ويصل التأثير فى ذروته ، حيث تتبنى الفارسية الحرف العربى ، شأنها فى هذا شأن لغات إسلامية أخرى كثيرة (الأردو – الملايو – الطاجيكية) مثلاً .

3- كثير من أعلام العربية كانوا من أصل فارسى ، وعلى رأسـهم الشـيخ سـيبويه (ت 180) أبو النحو العربى – بل الصرف والأصوات – هو مـن شـيراز فـى منطقـة الأهواز، جنوب غربى إيران الآن . ليس سيبويه فقط ، ولكن أيضاً الشاعر الأشهر أبو نواس (ت 196هـ) والإمام الطبرى المفسر والمؤرخ (ت 310هـ) .

---

[1] – دور العربية فى صياغة العلم والثقافة فى بلاد فارس (إيران) ص2 ، مؤتمر (قضايا اللغة العربية وتحدياتها فى القرن الحادى والعشرين) الجامعة الإسلامية العالمية ، كوالالمبور 1996م .

ليس هؤلاء فقط ، بل كان من قراء القرآن الكريم المشهورين السبعة من الفرس ، منهم على بن حمزة الكسائى (ت 189هـ) ومنهم إمام دار الهجرة فى القراءات ، نافع بن ابى نعيم (ت 169) ، جاء إلى المدينة صبيا ، فقد كان من سبى أصفهان [1] ، التى تقع الآن جنوب العاصمة طهران بحوالى ثلاثمائة كيلو متر .

4- بل يرى الكاتب – بروس آينجهام – أن الزى العربى التقليدى ، وكذا استخدام القرب للجمل كوسيلة انتقال حتى أضحى سفينة الصحراء ، وما ترتب على هذا من ثقافة عربية مرتبطة بالجمل ، كل هذا امتدت جذوره إلى الاحتكاك بالفرس .

ونضيف من جانبنا ما يحكى أن الأحباش قد احتلوا اليمن ، بل وصل تطاولهم إلى محاولة هدم الكعبة فيما عرف بعام الفيل بقيادة أبرهة الأشرم – لعنه الله – وعندما اشتد الأمر بالعرب فى اليمن وتفاقم استبداد الأحباش نهض الفارس العربى سيف بن ذى يزشد الرحال إلى كسرى ملك الفرس .

وفى بلاط كسرى كان هذا الحوار بين الملك وبين فارس العرب :

- الفارس : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغربة .
- الملك : أى الأغربة ؟ الحبشى ، أم السند ؟
- الفارس : بل الحبشة ، مجئتك لتنصرنى ، ويكون ملك بلادى لك .
- بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك .

ولكن الملك واسى ضيفه العربى بعشرة آلاف درهم ، وكسوة حسنة ، إلا أن الفارس العربى النبيل ما إن خرج من القصر الملكى حتى نثر المال كله للناس ، وهنا قال كسرى : (إن لهذا الشأنا) .

وعند مثوله مرة أخرى بين يدى الملك قال له : " عمدت إلى عطاء الملك تنثره للناس؟!" فقال العربى : " ما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة ؟ " فجمع كسرى وزراءه ومعاونيه يستشيرهم ، وبعد أخذ ورد انتهى الرأى إلى ما عبر عنه أحد الوزراء:

" أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته " وعقد الملك القيادة لرجل من هؤلاء

---

[1] – أبو الخير ، د. أحمد : الأصبهانى الشاب قارئ المدينة ، ص 3 (بحث غير منشور) .

المساجين ، كان ذا حسب وبيت يقال له (وهرز) فخرج الثمانمائة فى ثمانى سفائن ، وصلت منها إلى سواحل عدن ست فقط .

وجمع سيف بن ذى يزن إلى القائد (وهرز) من استطاع العرب ، والتقت القوات الفارسية العربية المشتركة تحت راية (وهرز) بالجيش الحبشى المحتل بقيادة مسروق بن أبرهة الأشرم ، وعلى الأخير دارت الدائرة ، ودخل وهرز صنعاء ، واستقر الأمر للفرس ومحالفيهم من العرب ، بعد احتلال حبشى دام اثنين وسبعين عاما .

وظل الفرس فى اليمن حتى بعث النبى الخاتم محمد ρ ، وهنا كتب كسرى إلى بازان عامله فى صنعاء : " بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلى برأسه " فبعث بازان بكتاب كسرى إلى رسول الله ρ فكان رد النبى: " إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا فى شهر كذا " .

ويبدو أن بازان هذا كان رجلا عاقلا ، لقد توقف وانتظر قائلاً : " إن كا نبيا فسيكون ما قال " وكان ما قال سيد الخلق ، فقتل كسرى على يد ابنه شيرويه فى اليوم المحدد ، فما كان من بازان إلا أن بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ، فقالت الرسل من الفرس : " إلى من نحن يا رسول الله ؟ " لقد قطعوا ولاءهم بكسرى ، فأين يكون انتماؤهم الآن، قال سيد الخلق : " أنتم منا وإلينا آل البيت " .

روى عن محمد بن شهاب الزهرى (ت 124هـ) أنه قال : " فمن ثم قال رسول الله ρ سلمان منا أهل البيت " [1] ومن العجيب أن النبى الخاتم لم يلحق أحدا بآل بيته غير هؤلاء ، فعن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : إن هذه الآية نزلت فى بيتى " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " [2] قالت: وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت : يا رسول الله ، ألست من أهل البيت ؟ فقال ρ :" إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبى " قالت : وفى البيت رسول الله ρ وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، رضى الله عنهم [3] .

وهناك حديث آخر بالغ الدلالة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، يقول النبى الخاتم ρ : " أدخل الإسلام بلالا فى نسبى وأخرج الكفر أبا لهب من نسبى " [4] لاحظ أن الرسول

---

[1] – انظر – ابن هشام : السيرة النبوية 1 / 22 – 45 ، وانظر أيضاً تفسير ابن كثير لسورتى البروج والفيل .

[2] – 33 الأحزاب .

[3] – تفسير ابن كثير 3 / 485 .

[4] – أبو العزاين ، الإمام محمد القاضى : الإسلام نسب ، ص 15 ، القاهرة 1986م .

ρ لا يقول : (أدخل الإسلام بلالا فى أهلى ، أو فى أهل بيتى) وإنما يقول (فى نسبى) حقيقة مهمة يجب أن يعيها العرب والفرس على السواء .

وآخر ما يمكن ذكره عن عمق العلاقة بين الشعبين أن العلاقات التجارية بينهما لم تتوقف عبر الخليج الرابط بينهما ، ولا نقول الفاصل بينهم ، حتى تحت هدير المدافع والطائرات فى الحرب العراقية الإيرانية المشئومة ، والتى استمرت سنوات عجائف طوال – 1980 – 1988 – أتت على اليابس والأخضر فى كلا الجانبين .

ثانياً : لهجات العرب فى إيران :

قسم المؤلف مناطق اللهجات العربية ، أو قل مناطق العرب فى هذا البلد إلى ثلاث مناطق :

أ – منطقة خورستان جنوب غرب إيران ، شرق شط العرب .

ب– ساحل الخليج فى إقليم فارس .

جـ– منطقة خراسان شمال شرقى إيران ، على الحدود الأفغانية .

وقد وصف الكاتب بكل دقة واستقصاء وتفصيل كل هذى اللهجات العربية ، بل مزج بين الدراسة اللغوية والجغرافية والتاريخية بكل اقتدار ، وغاص ودقق خلف كل حجر ومدر وشجر ، مما أتعبنا كثيرا فى الترجمة ، سيما فى ضبط أسماء الأماكن والأعلام التى حفلت المقالة بها .

على أية حال فإن عدد العرب فى إيران يقدر الآن بثلاثة ملايين ، منهم مليون من اللاجئين [1] العراقيين ، هؤلاء اللاجئون لهم دور كبير فى نشر العربية فى هذا البلد ، كما سيأتى.

ثالثاً : الفصحى التى يتعلمها الإيرانيون :

ويعترف الكاتب بأن العربية (الفصحى) لغة إجبارية فى المدارس ، غير أنها تدرس – لا كلغة اتصال حية – بل مجرد تمرينات مدرسية محضة ، يقوم الأطفال بحفظ النصوص عن ظهر قلب دون أن يعرفوا – مفردات هذا النص أو أجزاءه ، لكن الكاتب يعترف بشجاعة بأن معلوماته هذه ترجع إلى بداية الستينيات ، أيام الحكم البهلوى [2] فى القرن الماضى ، ويضيف :

---

[1] – قنديل ، د. محمد المنسى : إيران والانفتاح على الحرف الشريف ، ص 54 ، مجلة العربى الكويتية ، أكتوبر 2000م .

[2] – نسبة إلى (البهلوية) اللغة التى سادت فارس قبل الإسلام .

" ولا أدرى إن كان هذا تغير كثيراً حتى فى هذه الأيام " والواقع أن الأمر اختلف كثيرا فى هذى الأيام عن سابقاتها أيام حكم الشاهَيْن ، رضا الأب ، ومحمد الابن ، وهو ما يحتاج إلــى بحــث مستقل ، لكن حسبنا الآن هنا أن نذكر بعض المعلومات التى توفرت فى مصادر مختلفة ، بادئين بالحكم البهلوى خاتمين بالنظام الجديد ، الذى بدأ 1979م .

1- الحكم البهلوى : ونبدأ برواية شاهد عيان ، أحد وجهاء العرب فــى خوزســتان حيــث يعيش يعيش كثير من العرب : " فى زمن الشاه – محمد رضا بهلوى [1] – لم يكن للغة العربية أى وجود ، كان التعليم بها ممنوعاً ، والحديث أيضاً ، كنا نتبادلها ســرا دخــل البيوت كالمحرمات [2] ... " .

وكان هذا استمرار السياسة والده الذى عكف على إلغاء تــداول اللغــة العربيــة فــى المعاملات الرسمية ، واستبدل بأسماء المحلات العربية أخرى فارسية ، حتى الأزياء العربية تم إبدال ملابس فارسية بها ، بل حرم الغناء العربى فى المقاهى [3] .

ولم يكتف بما سبق ، كيف ؟ لقد قرر كتابة الفارســية بــالحروف اللاتينيــة وإطــراح الحروف العربية اقتداء بأتاتورك ، لكن رجال الدين وقفوا له بالمرصــاد ، فاســتدعى بعــض الخبراء الألمان فى هذا المجال ، واستفتاهم عما إذا كان الشعب الفارسى سيتمكن – فيما بعد – من قراءة الشاهنامة للفردوسى ، ونهج البلاغة للإمام على ، وشعر الشيرازى ، وغير ذلك من الكتب التى تشد قلوب الشعب فى فارس ، فأفتى الخبراء الألمان بأن الشعب الفارسى لن يستطيع قراءة هذه الروائع إذا كتبت الفارسية بالحروف اللاتينية ، لأن الشعب الفارسى سينفصــل عــن ماضيه وتراثه ، كما انفصل الشعب التركى عن تراثه عندما كتب التركية بحروف لاتينية [4] .

ونختم حديثنا بما انتهى إليه بروس آينجهام : " وهكذا فقد شهدت تلك الفترة ســعياً وراء استبدال ألفاظ فارسية مكان الألفاظ ذات الأصل العربى ، وبرغم هذا كله بقيت العناصر العربية

---

[1] – السابق ، ص 42 .

[2] – تولى العرش بعد تنازل أبيه 1941 ، وبقى على عرشه حتى 1979م ، عندما غادر بلاده بشكل نهائى إلى أسوان صباح الســابع عشرون من يناير ، وبعد أيام غادر الديار المصرية إلى المغرب فجزر البهامة فالمكسيك فالولايات المتحدة وأخيرا بنما ، وفــى 24 / 3 / 1980 عاد إلى مصر ليعالج من مرض السرطان ، وفى السابع والعشرين من يوليو من نفس العام مات الشاه الابــن ليدفن حيث دفن أبوه من قبل ، فى مسجد الرفاعى بحى القلعة ، غير بعيد من قلعة صلاح الدين فى العاصمة المصرية ، انظر – رمضان : المسلمون فى آسيا الوسطى ، ص 165 .

[3] – السبكى ، د. آمال : تاريخ إيران السياسى ، ص 94 ، عالم المعرفة ، الكويت 1999م .

[4] – رمضان ، د. مصطفى : المسلمون فى ىسيا الوسطى وإيران ، ص 86 .

فى الفارسية قوية ، مما يعكس الاستغراق العميق للثقافة الفارسية فى دين الإسلام ، والالتحـــام التاريخى بين هذى الثقافة وبين اللغة العربية " .

2- النظام الجديد : وهنا أيضاً شاهد عيان آخر من العرب [1] ، يقول : يستطيع زائر إيران أن يرصد بسهولة بالغة أن النظرة اختلفت تماما تجاه اللغة العربية والعرب ، ذلك أنـــه طوال العهود السابقة كان استخدام اللغة العربية من الأمور التى يســـتنكرها المثقفـــون الإيرانيون ، بل كان وجود المفردات العربية يثير استياء مثقفى عصر الشاه ، فشـــكلت لجنة خاصة (لتنقية) اللغة الوطنية و " تحريرها " من " التسلل العربى " .

ويضيف مؤلف " إيران من الداخل " [2] أن كتب التاريخ والاجتماع – أيام الشاه – كانت تعتبـــر وصول العرب إلى بلاد فارس انتكاسة للحضارة الفارسية ... وبشكل عام كانت كلمة " عربى " مما لا يدعو إلى الاحترام ، بل إنها كانت محملة بإشارة إلى اتهام معيب ، وعندما جاء النظـــام الجديد 1979م اختلفت الصورة تماما ؟ كيف ؟

إن البداية سوف تكون من الدستور الجديد الذى ينص على :
أ – اللغة والكتابة الرسمية والعامة هى الفارسية لشعب إيران ، مع جـــواز اســـتعمال اللغـــات المحلية والقومية الأخرى فى وسائل الإعلام العامة ، وتدريس آدابها فى المدارس إلى جنب اللغة الفارسية [3] (المادة 15) .
ب- بما أن لغة القرآن الكريم والمعارف الإسلامكية هى العربية ، وأن الأدب الفارس ممتـــزج معها بشكل كامل ، لذلك يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتـــى نهايـــة المرحلـــة المتوسطة فى جميع الصفوف والحقول الدراسية (المادة 16) [4] .

وانطلاقاً من الدستور بدأت العربية تشق طريقها فى ظل النظام الجديد ، ففـــى التعلـــيم ترى العربية تدريس لغةً ثانية فى المدارس الثانوية [5] ، أو كما عبر الدستور الإيرانـــى (بعـــد المرحلة الابتدائية) لأنه فى هذه المرحلة وما قبلها لا يتعلم التلميذ غير لغته الأولى فقط ، فإذا ما انتهت هاتيك المرحلة ، أى بدءاً من المرحلة الإعدادية فقط – ليس قبلها – درس التلميـــذ لغـــة

[1] – هويدى ، فهمى : إيران من الداخل ، ص 275 – 276 ، القاهرة 1988م .
[2] – السابق .
[3] – شيخو ، د. أحمد : الحق اللغوى فى الإسلام ، ص 13 .
[4] – قنديل ، د. محمد المنسى : مرجع سابق ، ص 41 .
[5] – العبادى : دور العربية فى صياغة العلم والثقافة فى بلاد فارس ، ص 3 .

أجنبية أو ثنتين ، بعد أن يكون قد تمكن فى لغته الأولى ، وهذا ما تفعله كل الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة واليابان وغيرهما .

وفى الجامعات الإيرانية الآن أقسام للغة العربية ، على رأسها جامعة طهران ، التى أنشئ فيها قسم للغة العربية منذ قرن تقريباً ، وبعض الجامعات التى تدرس بالعربية ، كما سيأتى.

على أن المعقل الحصين للعربية يقع فى الحوزات العلمية ، وعلى رأسها حوزة قم بمدارسها ومؤسساتها التعليمية التى تخرج علماء الدين إلى أن يصل العالم إلى درجة الاجتهاد (آية الله) قم (آية الله العظمى) .

فإذا ما تركنا التعليم إلى وسائل الإعلام وجدنا الآتى :

أ – الإذاعة العربية تبث على مدى الأربع والعشرين ساعة إلى .

ب– يخصص التلفاز [1] ساعات من بثه بالعربية ، خاصة قناة (سحر) الموجهة إلى العالم العربى وفى نهاية هذا العام – 2003 – ستكون هناك قناة إخبارية باسم (العالم) تبث على مدى الأربع والعشرين ساعة بلغتين ، هما العربية والإنجليزية .

جـ– أما السينما الإيرانية الواعدة فقد عربت بعض مسلسلاتها وأفلامها لتبث فى بعض القنوات العربية ، مثل :

- مريم المقدسة ، عن السيدة مريم ، عليها السلام .
- التضحية والإيثار ، مسلسل فى عشر حلقات يروى سيرة الحسين بن على ، الذى استشهد فى يوم عاشوراء سنة 61هـ .
- رمال الموت ، عن محاولة أمريكا سنة – 1980 – لإنقاذ رهائن سفارتها فى طهران .
- غريب طوس ، عن سيرة الإمام على بن موسى ، الرضا الذى مات سنة 203هـ ، ودفن فى طوس ، نفس المدينة التى دفن فيها هارون الرشيد .
- أصحاب الكهف .

وتتميز الشاشة الإيرانية بالعمل الجماعى الأوسع ، دون الركون إلى النجومية ، بالتركيز على شخصية واحدة أو أكثر ، وما عدا ذلك لهم أدوار مساندة فقط ، وهو ما يناسب الحوادث التاريخية التى تتناولها والمشكلات الاجتماعية الحقيقية لجماهير الناس . كما تمزج بين التمثيل

[1] – فى غيران سبع قنوات تلفازية ، وثمانى محطات إذاعية ، إضافة إلى قناة محلية ومحطة إذاعية فى كل محافظة ، وكلها قنوات أرضية لأن الأطباق الفضائية ممنوعة هناك بحكم القانون .

وبين المناظر الحية التى استقيت من الأحداث ، وبين الشخصيات الحقيقية التى شاركت فى الحدث نفسه ، وهو ما اتضح فى مسلسل (رمال الموت) .

د – أشرنا إلى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، وهذى إشارة إلى وسائل الإعلام المقروءة المطبوعة ، وحركة الكتاب العربى فى إيران [1] :
– عدد الصحف العربية – يومية وأسبوعية – فوق الأربعين منها كيهان [2] العربى اليومية ، إضافة إلى الصحف التى تصدرها الجالية العراقية هناك .
– المؤسسات التى تطبع الكتاب العربى وتعتمد العربية حوالى عشرون مؤسسة ، تبيع مطبوعاتها بأسعار رمزية أو توزعها مجاناً .
– توجد حوالى مائة دار نشر عربية ، تصدر مئات العناوين فى كل سنة ، فضلاً عما تنشره المدارس والجامعات والحوزات العلمية ووزارات التربية والثقافة والتعليم العالى ، ومنظمة الإعلام الإسلامى ، ومركز بحوث الحج والعمرة ... إلخ .

مستشفى الكتاب : يذكر د. عبد العليم محمد [3] أنه سمع بهذا التعبير لأول مرة فى مدينة (قم) التاريخية ، عند زيارته المكتبة الكبرى التى أسسها سماحة آية الله ، شهاب الدين الحسينى المرعشى ، التى تعد ثالث أكبر مكتبة فى العالم الإسلامى ، وأولى المكتبات فى إيران ، بسبب ضخامة عدد الكتب والمخطوطات النادرة والمراجع المهمة التى جمعها مؤسس المكتبة ، رحمه الله .

لقد كرس سماحته عمره المديد – 96 عاماً – للدرس والبحث والتحقيق والتأليف فى العلوم المختلفة ، وقضى حياته بين النجف الأشرف وقم المقدسة ، ودرس أصول الاجتهاد والتفسير والفقه والأصول والرياضيات والفلك والطب والأنساب وعلم الكلام .

وهب الرجل حياته ووقته وماله وكل ما يملك لتأسيس هذى المكتبة العملاقة فى قم ، تحمل مشاق السفر والترحال والانتقال لجمع وتصوير المخطوطات النادرة والكتب الإسلامية فى المجالات المختلفة ، ليس فى مجال التراث الإسلامى فقط ، بل أيضاً فى التراث اليهودى والمسيحى وغيرها من الديات الوضعية الأخرى .

---

[1] – قنديل : مرجع سابق ، ص 42 .
[2] – كيهان معناها العالم .
[3] – الأهرام القاهرية 3 / 1 / 2003م .

فى أحد الأقسام التى تضمها هذه المكتبة العامرة يقع (مستشفى الكتاب) حيث تعالج الكتب والمخطوطات من الآفات ، وفقاً لنظام علاجى شامل ، يهتم بصيانة الكتب وترميمها وتطهيرها مما علق بها من شوائب ، فى رحلة الحفظ والتخزين والترحال بين الأمكنة المختلفة ، وعبر الأزمنة المتعاقبة .

تضم خزانة المكتبة ما يزيد عن اثنين وثلاثين ألف مخطوط ، موزعة على أكثر من ستين ألف عنوان ، جلها باللغة العربية ، والباقى بالفارسية والتركية والأردية والحبشية والسريانية واللاتينية ، فضلاً عن مئات المخطوطات النفيسة التى تهدى إلى المكتبة أو يتم شراؤها فى كل عام .

كل هذا مما يدل على أهمية الكتاب – سيما العربى منه – فى النظام الجديد الذى نقل البلد من التغريب فى عهد الشاه ، إلى التعريب فى سنواته الباكرة ، وفاتح عصوره الأول .

على أنه لا يفوتنا هنا الإشارة إلى معقلين مهمين من معاقل العربية وحصونها فى إيران:

أ – أدب الطف : فى 1980م سمعت أبياتا على لسان أحد خطباء الجمعة البارزين ، إنها :

مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزل وحى مقفر العرصات
بنات زياد فى القصور مصونة	وآل رسول الله فى الفلوات
وآل رسول الله تدمى نحورهم	وآل زياد آمنوا السَّرَبات

وعندما سمعت هذه الأبيات العذبة حاولت التعرف على القصيدة التى اقتبست منها ، وإذا بى أجدها فى كتاب بعنوان (أدب الطف أو شعراء الحسين [1]) فما المقصود بأدب الطف ؟ إنه الشعر والنثر ، والأدب الذى قيل فى مقتل الحسين بن على – رضى الله عنهما – بشكل خاص ، وما قيل فى على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – وفى بنيه وذريته بشكل عام .

والمقصود بالطف هنا (طف الفرات) وهو شاطئه ، وما ارتفع من جانبه ، حيث قتل الحسين فى عاشوراء – العاشر من محرم – فى كربلاء التى تقع الآن فى العراق .

لقد عرفت أن الأبيات التى سمعتها كانت من قصيدة دعبل ابن على الخزاعى [2] ، التائية الخالدة التى مطلعها :

---

[1] – تأليف جواد شُبّر ، نشر فى بيروت 1969م .

[2] – توفى دعبل فى إحدى قرى (السوس) فى منطقة (خوزستان) سنة (246هـ) وقد عاش من العمر قريباً من قرن من الزمان، انظر : ديوان دعبل بن على الخزاعى ، تحقيق عبد الصاحب عمران الدّجَيْلى ، ص 89 ، بيروت 1989م .

تجـــــاوَبْن بالإرنـــــان والزفـــــرات   نـــــوائحُ عُجـــــم اللفـــــظ والنطقـــــات

على أية حال فإن الطف كان جله بالعربية أو كله ، ومن ثم فإننا نعتبره معقلا مهما من معاقل العربية لدى الشيعة فى غيران خاصة ، وفى غيرها عامة .

ب– الأدعية : تلعب الأدعية دورا مهما فى حياة الشيعة ، خاصة فى إيران ، وفـــى مناســـبتها المتعددة ، وفى الحج والعمرة وزيارة قبور الأئمة من أهل البيت والعتبات المقدسة ، مثل زيارة قبر الرسول ρ والبقيع فى المدينة المنورة ، وقبر الإمام الحسين فى كربلاء ، والإمام على فـــى الكوفة ، وبعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

هذه الأدعية هى باللغة العربية فى المقام الأول ، أو فى الأغلب الأعم ، كما أنها تـــردد كثيراً فى مناسباتها المختلفة – مثل عاشوراء ذكرى مقتل الحسين – وتكرر فى شتى الأوقات ، وبنفس النص ، وهذا مثال لهاتيك الأدعية :

بعض المتحدثين الإيرانيين بلغتنا : فى دراسة حول المتحدثين بالعربية من غير العربية فى فضائية الجزيرة [1] التقطنا أسماء بعض الشخصيات التى تجيد لغتنا ، ومنهم مسلمون وغيـــر مسلمين من مختلف الأقطار ، ونذكر هنا بعض الإيرانيين :

- محمد أبطحى ، نائب رئيس الجمهورية .
- محمد الصدر ، نائب وير الخارجية .
- آية الله محمد على التسخيرى ، عالم ومفكر إسلامى .
- صباح زنكبه (محلل سياسى) مستشار وزير الخارجية .
- مطران الأرمن فى إيران .

مشكلات تعليم العربية فى إيران : من هذى المشكلات التى يعانيها متعلمـــوا العربيـــة هناك:

أ – قد يفهمون العربية لكنهم لا يتكلمونها ، أو لا يجرءون على هذا ، إذ لا توجد لديهم فـــرص للكلام بها .

ب– العربية لغة اشتقاقية ، ومن ثم فإن الصرف العربى بصيغه المختلفة صعب على القوم هناك صعوبة النحو عند بعض العرب .

---

[1] – قنديل : مصدر سابق ، ص 44 .

يقول الدكتور مهدى محقق الذى يقوم بتدريس اللغة العربية فى جامعة طهران : " نحن محرومون من الاحتكاك المباشر بالعالم العربى على نطاق كبير ، وعندما كنت شابا اشتركت فى معسكر للشباب الإسلامى فى بورسعيد – المصرية – وعدت منه ، وأنا لا أكف عن الحديث بالعربية ، ثم تباعدت السنون ، وانعقد لسانى مرة أخرى " .

أما الدكتور سعيد أسد الله [1] من جامعة العلامة الطباطبائى فيرى أن : " المحادثة هى أصعب مشكلة نواجهها فى تعليم العربية ، وبما أن التدريس فى جامعة الإمام الطباطبائى يتم باللغة العربية – مثل جامعة الإمام الصادق – فقد أدخلنا منهج (المحادثة) ومنعنا الحديث فى أروقة الجامعة وقاعاتها بغير العربية ، ونحن نتوسع فى قبول الطلاب من العالم العربى ، للمساهمة فى تنشيط المحادثة باللغة العربية ، ومن الطريف أن الطلبة الإيرانيين يتعلمون المحادثة بلهجات متعددة ، فترى طالبا يتحدث باللهجة الشامية ، وآخر بالعراقية ، وثالثا بالمصرية ، حسب المجموعة التى يختلط بها " .

والحل فيما سبق أن يدخل العرب على الخط ، فإن المنطقى البدهى أن يقوم العرب فى المقام الأول بتعليم لغتهم ، وأن لا يتركوا هذه المهمة بغيرهم ، ولقد ساءنى ما قرأت فى إحدى المجلات العربية السيارة أن غيران طلبت بعض المدرسين لتعليم العربية من إحدى الدول العربية المحورية ، ولكنها تعللت بأن الظروف السياسية غير مناسبة ، ولا مواتية ؟! فلمن يا عرب تتركون مهمة تعليم العربية فى هذا البلد أو غيره ، هل نتركه لغيرنا ؟ أسئلة بحاجة إلى تفكر وتمعن .

المستقبل المأمول : نحتاج فى هذا الصدد إلى ما يعد من الضرورات الواجبات ، ليس تجاه لغتنا، ولكن تاجه خويصة أنفسنا ومصالحنا المادية المباشرة :

أ – إن كثيراً من الجهود تبذل فى العالم العربى لخدمة العربية خارج الوطن ، جهود تبذلها جامعات ومؤسسات ، بل أفراد وحكومات ، ومنظمات وهيئات محلية وإقليمية وإسلامية ، لكن المجال بحاجة إلى مزيد من الجهود ، ومزيد من التنسيق بين مختلف المساهمين والمشاركين فى كل ما سبق .

ب– وفى هذا السياق اقترح المندوب السورى فى الجامعة العربية فى كؤتمر لسان العرب بمقر الجامعة – 1998م – أن يكون فى بيت العرب آلية لمساعدة أقسام اللغة العربية خارج الوطن

---

[1] – السابق .

العربى ، وكذا المدارس العربية والمعاهد والمؤسسات المهتمة بلغتنا هناك ، وسوف أحاول تقديم مشروع مقترح فى هذا الشأن ، إن شاء الله .

جـ- الدعوة إلى تطوير تعليم العربية وطرائق تدريسها لغير العرب ، وإعداد كوادر مؤهلة لهذا العمل بوجه خاص .

د – التعاون التام مع كل دولة أو مؤسسة تعمل من أجل لغتنا ، وإطراح الـتعلات السياسـية ، والهواجس المسبقة ، غير المبررة .

هـ- الاهتمام بنشر العربية وإعادة الحرف العربى إلى اللغات التى كانت تكتب به ، خاصة فى الجمهوريات السوفيتية [1] السابقة ، مع كامل الإشادة بالجهود الحاليـة ، فرديـة أو حكوميـة أو إقليمية .

والحمد لله فى الأول والآخر .

الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير
أستاذ علم اللغة بجامعة المنصورة
www.geocities.com/abu_elkher
2003/3/17م

---
[1] – العبادى : مرجع سابق ، ص 5 ، 6 .

النص المترجم

الملخص

إن موقف اللغة العربية فى إيران يمكن أن ينظر إليه من خلال سياقين مستقلين تماما :

1- وضع الفصحى باعتبارها لغة متعلمة – غير مكتسبة – وتأثيرها المستمر فى الفارسية الحديثة .

2- وضع اللهجات العربية فى المناطق الإيرانية وقد شهدت الفصحى واللهجات كلتاهما فترات من الازدهار ، وأخرى من التراجع والانحسار ، تبعاً للعوامل المصاحبة لكل فترة ، ولكنهما بشكل عام يمكن معالجتهما كمسارين منفصلين تماما .

أولاً : الفصحى :

دخلت الفصحى أول ما دخلت إلى إيران مع الفتح الإسلامى ، برغم أن الاتصال بين العربية وبين الجماعات المتحدثة بالفارسية قد تم قبل ذلك الفتح فيما يبدو ، يشهد على هذا كمية الكلمات الفارسية فى الفصحى [1] فضلاً عن الزعم بأن اللباس العربى التقليدى واستخدام الرحل [2] المحكم على البعير [3] الذى كان بداية لميلاد ثقافة مرتبطة بالجمل [4] – كل هذا – امتدت جذوره إلى الاحتكاك بإيران .

هذا الاحتكاك – على أية حال – لم يك ذا اتجاه واحد فقط ؛ فإن استخدام الشعر المقفى الذى يعد عنصرا رئيسا فى الثقافة الفارسية جاء من خلال الاحتكاك بالعربى ز

وأيا كانت مصداقية هذه النظريات فالمعروف أن أول دخول مكثف للعربية إلى فارس جاء مع جيوش خالد بن الوليد [5] .

وبعد هزيمة القوات الفارسية ورسوخ الإسلام فى فارس صارت العربية – لغة القرآن – صاحبة السيادة – دون منازع – فى فارس باعتبارها المصدر الرئيس للدين .

على أية حال فإن الفارسية أو بشكل أكثر تحديدا لهجات الخطاب المختلفة فى غيران بقيت إلى جوار العربية باعتبارها لغة الناس الرئيسة ، وفى الحقيقة فقد كان للتركية فى فترة لاحقة موطئ قدم فى البلاد .

ومن المعتقد أنه فى المراحل الأولى للحكم العربى فى فارس كانت لغة الكتابة والحكم لفترة طويلة – الفارسية ، فقد بقيت البنية الإدارية لنظام الأكاسرة لبعض الوقت أثناء الحكم العربى .

---

[1] – حتى دخلت بعض هاتيك الألفاظ الفارسية إلى القرآن الكريم ، مثل (استبرق – تنور – سجّيل) انظر : الحواليقى – المعرب ، ص 15 ، 84 ، 181 تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1995م .

2 – الرَّحْل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب ، المعجم الوسيط ، مادة (ر ح ل) .

3 – البعير : ما صلح للركوب والحمل من الإبل ، وذلك إذا استكمل أربع سنوات ، ويقال للجمل والناقة كليهما ، المعجم الوسيط ، مادة (ب ع ر) .

4 – دخلت الإبل فى صميم الحياة العربية ، سيما قبل الإسلام ، وقد عبر المؤلف عن الإبل بـ (الجمل) فهذى الكلمة معروفة لدى الناس فى الغرب ، وفى لغاتهم مشهورة ، وإن كانت أحد أسماء الإبل ، وهى عديدة جدا فى العربية ومختلفة وفقا لنوعيتها وطبيعتها ، ونوعية الاستخدام ، والصفات والخصائص ... إلخ .

فى القرآن الكريم : " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ " 17 / الغاشية ، وفى الحديث الشريف : " الإبل عز لأهلها – الناس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحبة " وفى المثل : " لا ناقة لى فى هذا ولا جمل – استنوق الجمل " الدميرى : حياة الحيوان الكبرى 1 / 26 ، 2 / 336 ، القاهرة 1978م .

[5] – فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

على أية حال فإن الطبقات المثقفة بين من أسلموا من الفرس تبنوا العربية بحماس كبير، وأسهموا بقوة فى تقعيدها وتطويرها إلى لغة عميقة ذات مكانة بالغة التقدم .

ومن بين عباقرة علوم العرب وآدابها قائمة طويلة من الفرس ، على رأسهم سيبويه [1]أبو النحو العربى ، من منطقة الأهواز ، وأبو نواس [2] واحد من أعظم الشعراء العباسيين ، نصفه فارسى الأصل ، والطبرى [3] أحد المؤرخين الأوائل كان من طبرستان فى الشمال .

وبرغم أن معظم هؤلاء لم يعيشوا فى إيران ، بل رحلوا إلى العراق قلب الدولة العباسية، فإنه يظهر لنا مدى جاذبية العربية وتأثيرها فى الفرس أثناء هذه الفترة .

لقد أصبحت العربية اللغة الرسمية فى فارس وأداة الحوار بين المثقفين وذلك خلال القرون الثلاثة الأولى من الحكم العربى (حتّى 1960 ، ص 158) برغم أنها لم تكن – على الإطلاق – لغة العامة من الناس .

على أية حال فإن العربية أثرت فى الفارسية تأثيرا بالغاً ، إذ تقدر العناصر العربية فى المعجم الفارسى بحوالى 80% .

وعندما حكم السامانيون [4] تم إحياء الفارسية كلغة قومية فى حين ظلت العربية لغة النصوص المقدسة ، القرآن الكريم والحديث الشريف ، والصلوات اليومية ، كما بقيت أيضاً لغة التعليم وذلك لأن معظم فروع المعرفة كانت مشتقة من الإسلام .

واليوم تبقى العربية لغة إجبارية فى المدارس ، على أنها تدرس – لا كلغة حية – بل كمجرد تمرينات مدرسية بحتة ، إذ يقوم الأطفال فى المدارس بحفظ النصوص عن ظهر قلب ، دون أن يعرفوا – بالضرورة – وظيفة كل جزء على حدة فى هذى النصوص .

---

[1] – أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قَنبر ، مات 180هـ بالأهواز مسقط رأسه ، وقيل مات بشيراز ، وقبره بها ، سيبويه : الكتاب ، مقدمة المحقق عبد السلام هارون 18/1 ، 19 ، القاهرة 1988م .

[2] – أبو نواس ، الحسن بن هانئ (ت196هـ) انظر : البغدادى ، هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، استانبول 1951م .

[3] – أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبرى (ت 310هـ) .

4 – وهو ينسبون إلى (سامان) أحد نبلاء (بلخ) وكانوا فى البداية عمالا لبنى طاهر ، ثم ما لبثوا أن انقلبوا عليهم فاستأثروا بحكم فارس وما وراء النهر أكثر من قرن من الزمان (874 – 999 م) مؤسس جولتهم الأول نصر بن أحمد السامانى ، كانت عاصمتهم بخارى التى تقع بين نهرى سيمون وجيحون .

يقول الدكتور عبد الحليم عويس : " وقد قدمت هذه الدولة بعض مظاهر التقدم العلمى والأدبى ، وكانت النهضة الفارسية فيها أبرز من النهضة العربية ، من ناحية فكرها وطابعها العام باعتبارها دولة فارسية ، ففيها ظهر الرازى وقدم كتابهُ فى الطب إلى أحد ملوكها ، كما كان ابن سينا من المترددين على مكتبات بخارى ، ووضع الفردوسى أشعاره بالفارسية لأمرائها " أوراق ذابلة من حضارتنا ، دراسة لسقوط ثلاثين دول إسلامية ص 88 ، القاهرة 1992م .

وبرغم قدرتهم على تصريف الأفعال إلا أنهم يفتقرون إلى التدريب على تكوين الجمل ، وترجع معرفتى بهذا إلى بداية الستينيات أيام الحكم البهلوى ، ولا أدرى إن كان هذا تغير كثيرا حتى فى هذه الأيام [1] .

وفى الحقيقة كان من غير المعتاد – حتى بين علماء الدين – القدرة على الحوار باللغة العربية إلا إذا كان موضوع الحوار ديننا ، دون سواه من المجالات .

بيد أن الذين اعتادوا – منهم – التردد على العتبات المقدسة فى إيران ،والعراق – النجف وكربلاء ، حيث مزارات الشيعة – تجد لديهم بعض الخبرة بالعربية المنطوقة .

ثانياً : العناصر العربية فى الفارسية :

من الصعب أن نعطى رقما أكيدا للألفاظ العربية فى الفارسية الحديثة ؛ لأن هذا يتطلب تغطية لكل جوانب اللغة ، إن هذا يشبه تماما حال العناصر اللاتينية فى الإنجليزية من الألفاظ اللاتينية فإنه يبقى فى الأولى بقية نابضة من المفردات الأنجلو – سكسونية ، أو الإسكندنافية .

ففى كثير من الحالات تجد فى الإنجليزية ثنائيات مثل :

Sweat / perspire – breathe / inhale – lie / recline – clothes / habit – shove / push .

فضلاً عن هذى المجموعة المشهورة : . pork – sheep / swine / mutton – cow / beef

حيث الثانية من كلٍ هى العنصر اللاتينى ، المرادف الأرقى والأسمى للأولى ، أى العنصر الأنجلو – سكسونى ، أو الإسكندنافى الذى يتحاشاه بعض المتحدثين فى الحوارات المهذبة .

وبالمقابل فإن الكلمات العربية فى الفارسية وصلت إلى حد أن عديدا من الكلمات الفارسية – الأساسية – ذات الأصل العربى ليس من السهل العثور على مرادف إيرانى لها ، فإذا أخذنا الأمثلة الآتية :

Gaza (الغذاء) ، harf – zadan (يتكلم) ، la&at (كلمة) ، soma:l (شمال) ، dzonu:b (جنوب) .

فلن نجد مرادفات فارسية معروفة لها ، تستخدم بشكل عام فى الفارسية النموذجية .

---

[1] – ثبت أن الأمر تغير كثيراً منذ 1979م ، راجع تقدمة المترجمين .

وفى الحقيقة فإن كلمة goft:r بمعنى : كلمة أو كــلام ، والشــكل اللهجــى gab zad (يتحدث) المستخدم على نطاق واسع فى التنوعات غير النموذجية ، إلا أن الأولى تعد عتيقة ، والثانية غير نموذجية (أى لهجية) .

وفى بعض الحالات تحتفظ التنوعات اللهجية بالشكل الإيرانى ، فى حين تحتفظ الفارسية النموذجية بالكلمات ذات الأصل العربى .

وفى فترات انبعاث المشاعر القومية كانت هناك محاولات لإحلال العناصر الإيرانية – من اللغة – محل العربية ، لقد أكمل الشاعر الفردوسى – 1011م – بعد عمــل اســتغرق 35 سنة– أثناء حكم السامانين والغزنويين – ملحمته الشعرية (الشاهنامة) أى : كتاب الملوك ، من 60.000 بيت ، زُعم أنها خِلْو من الألفاظ العربية .

وأثناء حكم الشاه محمد رضا أيضاً برزت توصيات بإحداث تغييرات فــى الاســتخدام الرسمى للغة ، تتسق مع محاولات الشاه استعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية قبل الفتح العربى ، ومع موقفه المعادى للعرب [1] بشكل عام .

وهو ما أثر أيضاً فى السياسات التعليمية التى صورت العرب على أنهم أدنى ثقافياً من الفرس ، وأنهم المسئولون عن إعاقة التقدم الثقافى للشعب الفارسى .

وهكذا فقد شهدت تلك الفترة وراء استبدال ألفاظ إيرانية رســمية مكــان الألفــاظ ذات الأصل العربى .

وبرغم هذا كله بقيت العناصر العربية فى الفارسية قوية ، مما يعكس الاستغراق العميق للثقافة الفارسية فى دين الإسلام ، والالتحام التاريخى بين هاتيك الثقافة وبين اللغة العربية .

ثالثاً : اللهجات المنطوقة :

المناطق التى تتحدث العربية فى فارس هى أساسات ثلاث مناطق ، لدىَّ مادة علمية عن أولاها فقط ، فى حين جاءت معرفتى عن الأخريَيْن من خلال التقارير :

- خوزستان : : جنوب غرب إيران ، إلى الشرق من شط العرب .
- ساحل الخليج الفارسى فى إقليم فارس ، وربما ما جاوره من اليابسة .
- وربما أيضاً فى قمباد قابوس فى خراسان شمال شرقى إيران .

فإن صحت معلوماتى عن الأخيرتين فإنه يبدو أن لكل منطقة من الثلاثِ لهجَتَها المستقلة مما سواها .

[1] – هذا كان للشاه بعض الصداقات الحميمة فى العالم العربى ، بل دفن – فى النهاية – مثل والده فى القاهرة ، قلب العالم العربى .

ففى خوزستان لهجة gelet [1] (قلت) الخاصة بجنوب العراق ، وعلى طول الساحل نجد لهجة شرق الجزيرة [2] العربية ، وأخيراً لهجة وسط آسيا فى الشمال الشرقى من غيران .

وسوف أتناول اللهجات الثلاث بشكل منفصل ، معطيا عناية بتاريخ دخول العربية إلى كل منطقة ، والوضع الحالى لكل لهجة بقدر ما هو متاح من المعرفة .

وأخيراً إعطاء قدر من المقارنة بين لهجة منطقتى ساحل الخليج وبين لهجة خراسان ، إذا اعتبرنا التقارير التى سمعتها صحيحة ، وأن اللهجتين مرتبطتان بالتصور الذى افترضته وربما تثبت المعلومات التى قد تظهر فى المستقبل الخطأ التام فى هذه النقاط .

1- لهجة خوزستان :

سميت هذه المنطقة باسم (الخور) [3] سكانِها الأصليين عند الفتح العربى ، حيث سماها العرب وقتها (سوق الأهواز) .

وبرغم أن خوزستان تسمية حديثة [4] ، فقد كان يطلق عليها غالباً (الأهواز) [5] .

والمعلومات الأولية التى وقعت تحت يدنا عن السكان العرب فى خوزستان أخذناها عن (بِدرو نِكسيرا) البرتغالى اليهودى ، الذى عبر شط العرب عام 1604م ، وفى ذاك الوقت – كما ذكر بدرو – كانت كل البلاد الواقعة شرق شط العرب يحكمها مبارك بين مطلب " زعيم عربى كان يدعى باستمرار امتداد نفوذه إلى البصرة ، فكان فى حرب مستمرة مع الأتراك " (لوريمِر 1625/2 ، 1915م) .

---

[1] – يقصد هذه اللهجة التى تنطق القاف الفصيحة على شكل [g] جاف ، كما فى الريف المصرى ومعظم أنحاء العالم العربى إضافة إلى حشر حركة بين الصامتين الأخيرين ، أى gelet وليس gelt أو golt ، وهى فى الفصحى : (قُلْت) .

[2] – بسبب الحركة من شرق الجزيرة إلى الساحل المقابل عبر الخليج كما سيأتى تفصيله فى المقال ، ولذا سوف نجد اللهجة الأخرى فى شمال شرقى إيران مرتبطة بما جاورها فى وسط آسيا .

[3] – فى القاموس المحيط ، مادة خ وز " الخُوز جيل من الناس ، واسم لجميع بلاد (خوزستان) وسكة الخوز بأصبهان ، وشعب الخوز بمكة وخوزان قرية بأصبهان ، وخوزيان حصن وقرية بـ نَسَف " التى ينسب إليها الإمام (النسفى) أبو البركات ، عبد الله بن أحمد (ت 710 هـ) ، صاحب التفسير المعروف .

وتقع (نسف) فى جمهورية أزبكستان جنوب مدينة (بخارى) التى ينسب إليها الإمام البخارى (ت 256هـ) صاحب الصحيح الشهير .

[4] – هذا غير صحيح ، فقد ذكرت خوزستان فى المعاجم العربية كما رأينا .

[5] – قال الفيروزبادى : " الأهواز تسع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها اسم ، ويجمعهن الأهواز ، ولا تفرد واحدة منهن بـ، هوز " القاموس المحيط ، مادة (هـ و ز) .

ويقول الجوليقى : " الأهواز : اسم مدينة من مدن فارس ، أعجمية معربة ، تكلمت بها العرب ، قال جرير :

سيروا بنى العم ، فالأهواز مرجعكم

ونهر تِيرَى فما تعرفكم العرب

انظر : المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، ص 37 ، 38 ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1995م .

ووفقاً لفهرس (لوريمير) الجغرافى فقد كان مبارك أحد ولاة الحويزة ، المنتسبين إلى إحدى أسر الأشراف بمكة ، والذين كانت لهم الزعامة فى واسط جنوب العراق ، وامتدت إلـــى شرق الحويزة [1] فى خوزستان ، وهو ما أدى إلى عصر من السيطرة العربية على المنطقـــة – دون انقطاع – حتى النصف الأول من القرن العشرين .

لقد كانت المنطقة معروفة على مستوى العالم باسم (عربستان) وعند العرب والفـــرس أيضاً ، إلى أن استولى عليها رضا شاه ، فتغير اسمها رسميا إلى (خوزستان) [2] .

وفى نهاية القرن السابع عشر انتقلت قبيلة بنى كعب العربية (والتى كان يشـــار إليهـــا غالباً بـــ The Chaub [3]) . إلى خوزستان ، وأخذت المنطقة من يـــد (الأفشـــار) الأتـــراك فأصبحوا موالين لصاحب الحويزة ، ثم أصبحوا فى فترة لاحقة هم أنفسهم حكام المنطقة ، ويبدو أنهم استقلوا عن البصرة فى معظم الأوقات مستقرين مبدئيا فى (جوبان) علـــى رأس خـــور موسى إلى 1747م ، ثم فى (شاديجان) التى أعطوها اسما عربيا هو الفرحية ، تلاهـــم فـــى الحكم ينو محيسن بزعامة الشيخ خزعل أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل العشرين ، الـــذين نقلوا مقر الحكم إلى (المحمرة) أو خرمشهر أسفل نهر القارون .

وفى المحمرة أقام الشيخ خزعل تجارة مزدهرة ، وكان منافسا قويا لجاره الصباح حاكم الكويت لدرجة أن البدو فى تخوم الكويت كانوا يستنجدون بالشيخ خزعل على حـــل مشـــكلاتهم المحلية .

أ – مكانة العربية فى خوزستان الآن : تعود معلوماتى عن استخدام العربية فى خوزستان إلـــى منتصف السبعينيات قبل التغيرات الهائلة التى أحدثتها الثورة الإسلامية – 1979م – والحـــرب الإيرانية العراقية التى دمرت الكثير من المنطقة ، وأجبرت كثيرا من السكان على الهجرة إلـــى مدن مجاورة ، خاصة شيراز .

وربما تغير الموقف كثيرا الآن ، بزعم ما سمعته من عودة كثير من السكان العرب إلى ديارهم بعد توقف الحرب ، لقد كانت العربية قبل هاتيك الأحداث لغة السكان فى منطقـــة شـــط العرب وسهل خوزستان .

---

[1] – فى القاموس المحيط : " الحويزة كدويرة قصبة من خوزستان " مادة (ح و ز) .

[2] – لا نرى أن الكاتب مصيب فى هذا ؛ لأن خوزستان كانت معروفة بين العرب بهذا الاسم ، على العكس مما يقول ، ربمـــا كانـــت (عربستان) تسمية حديثة أطلقت على هذه المنطقة قبيل السيطرة الاستعمارية على الخليج .

[3] – ربما يكون هذا نطقا محرفا لكلمة (كعب) العربية ، الكاف تحولت إلى (تش) ts ، وتحولت العين إلى u ، هذا احتمال .

وفى المدن الكبرى ومع بداية هجرة الأفراد العاملين بصناعة النفط – وأسرهم من خارج المنطقة ، تعمدت الحكومة الإيرانية جعل الفارسية اللغة الرسمية ، واللغة الرئيسة للتجارة فى هذى المدن .

أما خارج المدن فقد بدت لغة السكان ومظهرهم عربيين ، يرتدون الزى العربى على الطريقة المعروفة فى شمال الخليج ، ثوب صيفى خفيف وعطاء رأس أبيض – يسمى كوفية ، بلا عقال ، مع وضع طرفى الكوفية إلى الخلف على الرأس .

ولأن الحرارة والرطوبة مرتفعتان حتى مع (البِشْت) [1] العراقى الصيفى الخفيف فإن أحد طرفيه كان يسدل على أحد الكتفين بشكل أنيق ، كما كانوا ينتعلون الصنادل لأنها سهلة الخلع عند دخول المنزل .

أما النظام الاجتماعى للسكان فقد كان ذا بيعة قبلية ، أكبرهم عدداً وأوسعهم مساحة قبيلة كعب التى كان مركزها الرئيس شاديجان (الفلاحية) وعلى طول الشط كانت (محيسن) وفى أقصى الشمال حول الأهواز كانت قبائل بنى طُرُف ، وبَوِيَه ، وبنى لام ، هذه الأخيرة امتدت إلى داخل العراق شمال (هور الحويزة) [2] .

كل هؤلاء كانت العربية لغتهم الأولى ، وإن كان الكثير منهم يستطيع أن يتكلم الفارسية بدرجة ما ، الأجيال الشابة خاصة تستطيع فى الغالب الحديث بالفارسية بشكل جيد ، لأنهم تعلموا فى مدارس فارسية .

وفى الحقيقة كان تعليم كثير من هذه الأجيال الشابة يتم بشكل كامل باللغة الفارسية فى حين كانوا يتكلمون العربية كلغة دارجة فقط ، وبرغم هذا فقد كانوا فخورين جداً بهويتهم العربية ، ويمتلكون غالباً حصيلة من التراث الشفاهى على شكل أشعار وأغانٍ وحكايات وأقوال مأثورة.

وقد دُعِّم هذا كله بواسطة نظام المجلس [3] ، ففى معظم البيوتات العربية البارزة ، خاصة تلك التى لها علاقات قبلية قوية ، أو ذات مكانة مرموقة فى النظام القبلى – كانت تخصص حجرة فى أحد أركان المنزل كمجلس ، أو حجرة الجلوس ، تفتح فى أوقات معينة من اليوم ،

---

[1] – غطاء للرأس عند الرجال .

[2] – الهَوْر بحيرة تغيض فيها غياض وآجام – أشجار – فتتسع ، وسكثر ماؤها ، والجمع أهوار ، لسان العرب (هـ ور) .

ويبدو أنها تشبه كلمة (الغور) أى القعر من كل شيء ، والغور ذهاب الماء فى الأرض ، قال تعالى : " أو يصبح ماؤها غورا ، فلن تستطيع له طلبا " 141 الكهف ، والجمع (أغوار) .

انظر : عبد العال – الشامل لجموع التصحيح والتكسير فى اللغة العربية ، 193/3 ، القاهرة 1982م .

[3] – مجلس العرب .

ويستطيع أى زائر أن يدخل إليها يتناول القهوة أو الشاى ، لقد كان هذا سمة مميزة فـي ثقافـة العرب ، وفى هذى المجالس كانت العربية تفضل على الفارسية .

وخلال حكم الشاه قمعت تماما اللغات غير الإيرانية ، فى اية منطقة ، فالشكل المحلـى للعربية كان محظورا فى وسائل الإعلام المسموعة أو المرئية أو المقروءة ، إضافة إلى عـدم استخدامه كلغة للتعليم بالمدارس .

وكانت الفكرة التى يروج لها بشكل عام أن هذى اللغات ليست لغات مستقلة ، بل هـى لهجات محلية ، فكلمة لهجة كانت تشير إلى شكل محلى صرف من الكلام ذى مكانة متدنيـة ، وبلا أدب مكتوب .

والأسباب السياسية لهذا واضحة جداً ، لقمع فكرة الاستقلال أو الحكم الذاتى مـن قبـل السكان العرب فى إيران ، إضافة إلى ضرب مصداقية الدعاية التى تحاول اسـتمالة العـرب ، وهو ما يبرر غضب الحكومة الفارسية .

ب- علاقة عربية خوزستان بلهجات جنوب العراق : إن منطقة جنوب العراق إلى السماوة على نهر الفرات وكوت على دجلة وسهل خوزستان يمكن اعتبارها من الناحيـة الثقافيـة واللغويـة سلسلة متميزة ، إن لم تك وحدة واحدة .

ومن الممكن الإشارة إلى سمات ثقافية تسود هذى المنطقة ، مثل انتشار الإسلام الشيعى واللغة العربية .

فإذا أردنا دراسة جغرافية اللهجة فى هذه المنطقة يلاحظ أن الحدود اللغويـة لا تقسـم المنطقة إلى كتلة فى الشرق واخرى فى الغرب تماشيا مع الحدود السياسية [1] الحاليـة ، ولكنهـا تقسمها إلى مناطق كرتبطة بالماء ، فى مصب النهر ، فـى أعـالى النهـر أو أسـفله ، فـى المستنقعات أو بعيداً عنها ... إلخ .

الصورة الحالية ليست مناطق منفصلة – إلى حد كبير – ولكنها عبارة عـن سلسـلة أو خط من الأنماط المختلفة المتمركزة على شط العرب وأنهار القارون ، ثم يأخذ شكل مروحـة [2] مع الاتجاه شمالاً .

والمناطق اللغوية التى يمكن تصورها هنا بدرجة معقولة من التعميم هى :

---

[1] – هذا ما يؤكد مرة بعد المرة أن هذى الحدود السياسية إن هى إلا حدود مصطنعة مغرضة عن قصد وسوء نية ، حتى لا تستقر الدول ولا الشعوب ، بل تتفكك فى النهاية وتتفتت .

[2] – أى تتسع كلما اتجهنا شمالاً .

- شط العرب وأسفل القارون وأجزاء من الفرات جنوب الناصرية وضفتا نهر الجرّاحي حول شاديجان بما فى ذلك كبريات المدن القديمة فى هاتيك المنطقة ، أى البصرة وخورمشهر .
- مستنقعات هور الحويزة وهور الحَمَّار ، على شكل دائرة عند ملتقى دجلة بالفرات ، وحول دجلة فى منطقة العمارة وعبر الحدود الإيرانية .
- البادية ، التى تقع بين الأنهار ، بما فى ذلك بعض المدن الأحدث ، مثل الأهواز .

إن ما سبق يتطابق تماماً مع الحقيقة الواضحة التى توكدها الجغرافيا اللغوية ، بأن الأنهار تقوم بتشكيل بؤر المناطق اللغوية ، لا بتفتيتها ، وهكذا فإنه من غير الطبيعى الزعم بأن شط العرب يشكل حاجزاً لغوياً .

وقد اعتمد التقسيم اللغوى السابق على عدة سمات مختلفة عولجت بالتفصيل فى أماكن أخرى (انظر – بصفة خاصة – آنجهام 1976م ، 1982م) وسوف أقدم هنا مجملا مختصرا لهاتيك السمات :

جـ– شط العرب وما يجاوره : واللهجة هنا من نوع (قِلِتْ) [1] كما وصفه بلانك 1964 أى أنها تشبه من الناحية الصرفية نطق البغدادى المسلم ، الذى يتسم بالغياب التام لتتابع ساكنين فى نهاية الكلمة ، مثل : كِلِب – نِتِت – كِتَبِت .

إضافة إلى تحول /k/ -/g/- إلى الأمامية [2] ليصبحا [tsz] – [dz] خاصة مع الحركات الأمامية ، مثل tsalib أى (كلب) – tsain (كان) – dzidir (قِدِر) – midzdaif (مجداف) [3] .

ويُظهر هذا النوع من النطق سمات المنطقة الجنوبية ، كما وصفها آينجهام (1973) أى نطق الجيم ياءً ، كما فى yibal (جبل) .

---

[1] – وليس (قلْتْ) بسكون اللام والتاء .

[2] – تتحول الأصوات الخلفية الانفجارية إلى أمامية مركبة والمقصود بالخلفية والأمامية هو مخرج الصوت ، ولذا تتحول الكاف إلى (تْشاف) أى [ts] والجيم [g] إلى [dz] وليس العكس ؛ ولذا قيل أن الجيم العربية كانت فى الأصل حنكية قصية ، مثل الجيم التاهر [g] ثم تحولت إلى [dz] أو [z] انظر – أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 80 ، القاهرة 1971 .

على أية حال فإن جميع صور الجيم فى العربية هى أعضاء فى وحدة الجيم ، على عكس ما نراه فى بعض اللغات الأخرى ، وكذا الكاف و (تشاف) كلاهما عضو فى وحدة الكاف .

وفى الروسية – مثلاً – الكاف وحدة مستقلة عن / lj / والجيم الانفجارية / g / وحدة مستقلة عن الاحتكاكية / z / وهكذا .

[3] – نرى أن أصلها (مقذاف) تحولت القاف الفصيحة /g/ إلى (جاف) عامية ، ثم تحولت هذه الأخيرة إلى جيم معطشة [dz] أما الذال فتحولت إلى دال فى العامية ، فأصبحت الكلمة (مجداف) بعد أن كانت فى السابق : (مقذاف) .

ومن هذى السمات أيضاً استخدام اللاحقة an [1] (نون قبلها فتحة) فى صيغة المتكلم المفرد كما فى (اروح) التى تنطق zaruit – an ، واستخدام اللاحقة man ـــــ trid – man ، ومن الناحية الصوتية فهى لهجة تقدمية تماماً تركز على الجزء الأمامى فى الكلمة إذا ما قورنت بجيرانها من اللهجات فى مدى انتشار هذه التقدمية ، وهو ما يتضح فى اتباع قاعدة تحول الفتحة إلى كسرة أو ضمة فى المقاطع المفتوحة فى غير نهاية الكلمة ، وفى غياب الاضطرار إلى حذف الفتحة قبل الصامت الحنجرى ، فيبدأ المقطع بصامتين مثل نطف gahwah أكثر من ghawah [2] (قهوة) .

د – مستنقعات هَوْر الحويزة وهَوْر الحمّار : نفس السمات اللهجية السابقة نجدها باستثناء نطق (الجيم) احتكاكية [z] ، كما فى جبل ـــــ zibal [3] ، إضافة إلى عدد من الخصائص المحلية ، مثل استخدام اللاحقة الشين / s / فى نفى الفعل ، واستخدام eib? قبل الفعل فى الاستفهام المنفى ، نحو : ? eib nidri? .

وأيضاً استخدام الأداة (كيف) التى تنطق tsiif عند التقريع .

ويعرف أهل الأهوار جميعاً عند غيرهم باسم (مِعْدان) مفرد miseidi ، ولكن أهل الأهوار أنفسهم لا يطلقون هذا المصطلح إلا على مربى الجاموس .

وفى أقصى الشمال حول بغداد يستخدم الناس أحياناً مصطلح (مِعْدان) للإشارة إلى كل الجنوبيين ، ويتوهمون أن الجنوب كله يتحدث نفس اللهجة .

هـ– البادية أو الريف : وهنا تأخذ اللهجة نفس السمات المنتشرة فى الجنوب ، متمثلة فى شط العرب ، مع الإبقاء على بعض السمات الخاصة بلهجات البادية الأكثر نقاء .

ويمكن ربط الوضع اللغوى بالتقسيمات السياسية القبلية التى برزت فى التاريخ الحديث ، وتعتمد القوة الاقتصادية لبنى كعب على شط العرب – أساسا – وما يتصل به من أنهار .

إن مستنقعات هَوْر الحويزة وتخومها يمثلان منطقة لهجية متماثلة تماماً ، تمتد بطول الحدود الإيرانية العراقية ، هذه المنطقة اللهجية التى ربما تكون مرتبطة بفترة الازدهار التى عاشتها المنطقة تحت حكم ولاة الحويزة (المشعشاعية كما كانوا يعرفون محلياً) .

---

[1] – لعل هذه اللاحقة an هى فى أصلها نون التوكيد الخفيفة ، ويكون معنى المثال (أرحَنْ) وبما جاء استخدامها فى الأول للتوكيد ، ثم تُوُسّع فيها للتوكيد وغيره .

[2] – يقصد أن هذه اللهجة تركز على الجزء الأمامى من الكلمة ، ولذا فإنها لا تضطر إلى حذف الفتحة فى المقطع المغلق بصامت حلقى ، فتميل إلى نطق الكلمة gahwah أكثر من ghawah ، كما فى بعض اللهجات الأخرى .

[3] – من السهل نحو الجيم المركبة [dz] إلى [z] الاحتكاكية ، كما نجدها فى اللهجة اللبنانية .

والتى ما لبثت – كما يشاع – أن تحطمت بين عشية وضحاها بانهيار السد العظيم على نهر هاشم [1] المتفرع من نهر الكرخة [2] عام 1832م (لوفتس 1857 : 430) أو عـام 1937 حسب (ليارد 1846 : 35) فتحولت بعض الأراضى الوراعية إلى مرتفعات جافة ، والبـاقى أصبح مستنقعات وأوحال .

وأخيراً يبدو أن بادية خوزستان كانت حدودها الغربية غير منيعة أمام التعديات القادمـة من هذا الاتجاه الأمر الذى جعلها تشكل حلقة وصل مع البدو أو القبائل العربية (رعاء الشاء)[2] القادمين من منطقة الفرات وما وراءها ، مرورا – فيما يبدو – بشمال العمارة ، مبتعدين عـن منطقة المستنقعات .

ويقال إن (آل كطير) فى إقليمى ديز والكرخة من خوزستان ، هؤلاء القوم ينحـدرون بشكل غير مباشر عن فرع آل كطير من (ضافر) فى منطقة الناصرية .

وكذلك الحال مع عشائر الخزرج وكنانة الذين يمثلون بنى لام على الجانب الفارسى من الحدود وغيرهم من الجماعات الصغيرة ، كل هؤلاء يدعون نفس الصلة بضـافر فـى منطقـة الناصرية ، برغم أننى لم تتح لى الفرصة لأرى إن كان هناك تشابها بين لهجاتهم أم لا .

2- ساحل الخليج من إقليم فارْس :

ليس من المعروف بالضبط تاريخ استقرار العرب على ساحل إقليم فـارس ، غيـر أن أشهر من عاش على الجانب الشرقى – من العرب – هم الذين ينتسبون إلى الحويلة فى غـرب الخليج .

ويبدو أن هؤلاء – الحويلة – قد هاجروا إلى الجانب الفارسى من الخليج فى حكم أسـر الزَّنْد القوية أثناء أو قبل القرن السادس عشر الميلادى للإفادة من مستوى المعيشة المرتفع فـى المنطقة ورخائها .

وفى هذه العملية أصبح كثير من هؤلاء المهاجرين وكأنهم فارسيون ، كما تزاوجوا مع الفرس أيضاً ، وعندما أفل نجم الزند فى وقت لاحق عاد كثير من المهـاجرين إلـى الجانـب العربى من الخليج ، غير أن صلتهم بالفرس لم تنقطع ، فضلاً عن أسماء بعـض العـائلات – العائدة – تشير إلى سابق إقامة فى فارس .

---

[1] ،2 – من الأنهار القديمة ، حفرة هاشم من سادات المشعشعين ، فسمى باسمه ، أما نهر الكرخة فيبدأ من كرمنشاة محاذيـا لـدزفول ويسير بأراضٍ منخفضة – ثم يمر بالحويزة ، وينتهى بهَوْر العظيم الذى يصب فى نهر دجلة ، انظر : الحلو ، على – بـلاد الأحواز " عربستان " دراسة موسعة لجغرافية وتأريخ جغرافية الإقليم 37/1 ، 38 ، 49 ، القاهرة .

[2] – رعاة الغنم .

كثير من هذى العائلات توجد فى دول الخليج والحسا [1] (لـــومير 1915 : 8 ، و 754 بعنوان : الحُوالة أو الحُولة) [2] ويعرف هؤلاء باسم (حْويلة) مفرد (حْولى) ويختلفون عــن كل من السكان العرب الذين ليس لديهم مثل هذا الارتبـــاط بـــالفرس ، أو العناصـــر الفارســـية الخالصة من عاشوا فترات طويلة على الجانب العربى من الخليج والمعروفون بالعجم .

والآن تعيش القبائل الناطقة بالعربية من الفرس (السنة) على طول الساحل ، وربمـــا ينتقلون – كالبدو الرحل – فى بر فارس ، وعلى المرء أن لا يخلــط – هنـــا – بـــين العـــرب الحقيقيين وبين المتحدثين بالعربية ؛ ففى بعض مناطق فارس وكذا فى أفغانستان نجد قبائل بدوية تعرف بـــ (العرب) مع أنهم لا يتكلمون جميعاً بالعربية ، مع العلم أن بعض هؤلاء – ممـــن يعيشون فى أفغانستان ووسط آسيا – لا يزالون يتحدثون العربية (انظر بارفيلد 1981 وفيشـــر 1961 ، وآينجهام 1994) .

إن استخدام مصطلح (عربى) فى إقليم (فارْس) يشير إلى تصنيف قبائل الإقليم إلـــى فرس أو ترك أو عرب اعتمادا على المجموعات السياسية الأكبر التى ينتمون إليها .

فقبيلة (بَسّيرى) على سبيل المثال تصنف سياسيا على أنها من العرب برغم أنها جزء من اتحاد الخمسة فى حين تتحدث هذه القبيلة إحدى اللهجات الفارسية وليست من أصول عربية ، ولمزيد من التفاصيل حول استخدام مصطلح (عرب) فى (فارْس) يمكـــن الرجـــوع إلـــى (بارث 1961 : 131 ، وكريستيان 1918 : 1 ، 9 – 6) .

ويلاحظ كريستيان (1918 : 5) فى حديثه عن العنصر العربى فى الخمسة " قد جاء فى الأصل من نجد وعمان واليمن فى القرن السابع الميلادى ، وقد حافظ هـــؤلاء القـــوم جـــل عاداتهم البدوية " .

---

[1] – الحسا أو (الإحساء) تقع الآن فى أقصى الشرق من المملكة العربية السعودية على الخليج ، يقول عنها الرحالة ناصر خســـرو :
" والحسا مدينة فى الصحراء ... البصرة أقرب البلاد الإسلامية إليها ... والبحر على مسيرة سبعة فراسخ من الحسا من ناحيـــة الشرق، فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين ، وإذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان ، فإذا سار فى الجانب الآخر – من الحسا – يبلغ فارس " .

ويضيف ناصر خسرو :" ذهب سلطان الحسا بجيش إلى مكة أيام خلفاء بغداده فاستولى عليها ، وقتل من كان يطوف بالكعبة ، وانتزع الحجر الأسود من مكمنه ، ونقله إلى الحسا ... لبث الحجر فى الحسا سنين عديدة ، وأخيراً اشتُرى منهم ، وأعيد إلى مكانة " * انظر – سفر نامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ص8 ، 160 ، 161 ، القاهرة 1993م .

أما الفرسخ فهو ثلاثة أميال ، والميل 1609 أمتار ، انظر المعجم الوسيط ، مادة (ف ر س خ – م ى ل) .

* كانت رخحلات ناصر خسر من 437 إلى 444هـــ ، فهى أقدم رحلات المسمين بعد رحلة أحمد بن فضلان 309هـــ ، وقبل رحلـــة ابن جبير بأكثر من مائة عام .

[2] – هناك مدينة باسم (الحويلة) تقع شرق قطر ، على ساحل الخليج ، المقابل لجمهورية إيران ، انظر – الأطلـــس العربـــى ، 38 ، ى3 .

كما يشير كريستيان أيضاً (1918 : 6) إلى : " أن لغة هاتيك القبائل كانت العربيــة الخالصة إلا فسدت كثيرا فأصبحت خليطا من العربية والفارسية والتركية واللورية [1] (الكردية)

وربما يكون هذا صحيحا ، أو كان صحيحا سنة 1918 لكننى يجب أن أقول : عنــدما كنت فى خوزستان أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات اعتدت على سماع تقارير مشابهة عــن العرب هناك ، لكننى أرى من خلال خبرتى الخاصة أنهم يتحدثون عربية جيدة تماما .

على اية حال فإن من الممكن القول بأن تحرك الخمسة بعيدا عن مركز المنطقة المتحدثة بالعربية ، هذا التحرك جعل لغتهم عرضة للاختلاط باللغات الأخرى مثلما حدث لعربية وســط آسيا (انظر ما أوردنا عن) : " منطقة قنباد قابوس فى خراسان " .

وبرغم صعوبة التدليل على ما سبق إلا أنه يبدو أن الاتصال بشتى الطرق بين الساحل الفارسى من الخليج والجانب العربى منه كان أسهل من الاتصال بين الأول وبين داخل إيران ؛ فقد كان الإبحار فى الخليج سهلا ، إذ ليس فيه أمواج عاتية مع قليل جدا من المخاطر البحرية ، فى حين كانت الرحلة البرية من الخليج إلى الداخل الإيرانى محفوفة بالمخاطر كما أن منطقــة الداخل كانت – تاريخيا – تسيطر علهيا غالبا القبائل البادية .

فضلاً عن أن الساحل الفارسى نفسه لم يكن يغرى بالإقامة فيه حيث كان من الصــعب الحصول على الماء العذب ، كما أن الطقس غير معتدل ، وتتفشى فيه الأمراض والأوبئة ، مما نتج عنه اتجاه الحكومة المركزية – تاريخيا – إلى إهمال هذه المنطقة .. ومــن هنــا وقعــت المنطقة تحت تأثير العرب ، وهو ما أغرى البريطانيين [2] بفرض سيطرتهم الكاملة على الخليج انطلاقا من بوشهر فى القرن التاسع عشر .

إلا أنه فى القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر كان مركز السيطرة الرئيس فى بوشهر ولنجه للقائد البحرى العربى رْحمة بن جابر [3] ، كما أن القواسم المنتمين إلى عمــان ســيطروا على الساحل الفارسى الجنوبى لفترات طويلة .

كما كانت التجارة دائماً بين ضفتى الخليج مزدهرة ، حملتها المراكب الشــراعية التــى زودت فيما بعد بمحركات حديثة ، بل استمر هذه التجارة حتى أثناء الحرب العراقية الإيرانية .

---

[1] – نسبة إلى (اللوَر) عشائرِ كردية فى شمال إيران .

[2] – لم يك البريطانيون بحاجة إلى أى إغراء أو مبرر للاحتلال أو فرض السيطرة ، فإن وقوع المنطقة تحت تأثير العرب أو العجم لا دخل له من قريب أو بعيد بالرغبة فى الاحتلال .

[3] – وصف الكاتب عمان هنا بهذا الوصف Trucial oman فهذه الأخيرة مأخوذة من truce بمعنى معاهدة حيث دخلت عمان ومعها دول عربية على الخليج – البحرين قطر ... إلخ . فى معاهدة سلام مع بريطانيا 182 ، انظر :
Encyclopedia Britlannia : united Arab Emirates , history of .

وليس لدىَّ مصادر أولية عن لهجة هؤلاء القوم ، إلا أن بعض القَطَريين أخبرونى أنها تشبه لهجة (حْويلة) فى دول الخليج ، أى تحول الجيم المعطشة [dz] إلى [y] مثل :

- dzabel ——— yibal (جبل) .
- madzlis ——— maylis (مجلس) .

ولكن البنية المقطعية تختصر كما فى النمط السائد فى بلاد ما وراء النهر فى لهجات خوزستان ، فنجد tsalb بدل tsalib [1] (كلب) و tsint (كنت) بدل tsinit ، مع اتجاه نحو إعادة نظام المقطع الأول إذا احتوى أحد الصوامت الحلقية أو الحنجرية ، مثل :

- ghawah بدل gahwah (قهوة) .
- nrayah // naryah (نعجة) .
- [2] hmad // ?atmad (أحمد) .
- yhaya // yahya (يحيى) .

وهلم جرا .

3- ممنطقة قنباد قابوس فى خراسان : سمعت أوائل السبعينيات من إناس يعملون فى زراعة القطن بالمناطق المعروفة بـ (صحراء تركمان) على الحدود الشمالية الشرقية لإيران مع تركمانستان أنه كان هناك سكان محليون يتكلمون لهجة عربية ، ويسمون أنفسهم (عربا) ولكن لم تتح أية فرصة للتحقق من هذا ، فإن صح ما سمعت فإننى أعتقد أن هؤلاء السكان ربما ينحدرون ممن يطلق عليهم (عرب وسط آسيا) فى إقليم بخارى [3] .

ولهجة هذه المجموعة التى كانت ضمن الاتحاد السوفيتى السابق وثقها (تسير يتيلى) بشكل جيد 1956م فى حين ظهرت أول تقارير مكتوبة عن سكان شمال أفغانستان على يد (سراط) و (فيشر) 1961 .

وقد زرت بنفسى قرية (خوش هالَباد) العربية فى إقليم بلح فى أفغانستان 1969 ، إنها واحدة من أربع قرى تتحدث بالعربية ، وهناك عملت مدة أسبوعين مع أحد المتحدثين بهذه اللهجة ، مما جعلنى قادرا على توكيد أن هذى اللهجة تشبه تلك التى وصفها (تسير يتيلى) .

---

[1] – تحولت الجيم إلى ياء بسبب

[2] – هكذا جاءت فى النص ، وهى تخالف باقى الأمثلة التى تبدأ ثلاثتها بصامتين ، ولعل صواب هذا المثال لكى يتسق مع الأمثلة الأخرى hmad ، هكذا يكون بدؤه بصامتين الحاء والميم .

[3] – تقع مدينة بخارىَ التى ينسب إليها الإمام البخارى صاحب الصحيح الذى ينسب إليه – فى جمهورية أوزبكستان .

أ – مكانة العربية فى وسط آسيا : المنطقة التى يُتَحدث فيها بالعربية فى وسط آسيا هى بشكل رئيسى تقع فى وادى (أموداريا) – نهر جيمون – والمناطق المجاورة له ، وهنا وبشكل أخص فى أفغانستان يجب النظر إلى استخدام العربية فى سياق تعددية لغوية استمرت منذ فترات طويلة.

فقد انتشرت لهجات فارسية وتركية فى طول المنطقة وعرضها ، وفى أفغانستان تنتشر لغة (البشتو) .

هذى اللغات المحلية تعايشت مع بعضها لفترة طويلة ، فتماثلت مع بعضها فى المفردات والأصوات ، وحتى السمات الصرفية انتشرت من لغة إلى أخرى .

وليست العربية استثناء لذلك ، أسهمت فى العديد من مفردات وسط آسيا ، والأصوات بشكل عام ، وكمثال على هذا الكلمات maysa بمعنى صغير ، و (مال دارى) الرعى المتنقل، من الكلمة العربية (مال) لمعنى (ملك) والكلمة الفارسية (دار) بمعنى (يملك) هاتان الكلمتان شائعتان فى الطاجيكية والتركية والبشتو والعربية فى المنطقة المذكورة .

مع الإشارة إلى أن الفتحة الطويلة : a فى كلمة (مال دارى) فى اللغات الأربع تنطق (خلفية، نصف متسعة ، مع ضم خفيف للشفتين) [1] كما يحدث فى الكلمات ذات الأصل العربى والفارسى .

ولذا فإن وجود اللغة العربية قد مر مرور الكرام فى هذه المنطقة ، حتى ظن معظم المتكلمين باللغات الأخرى المجاورة أنها ربما تكون لهجة إيرانية غير مشهورة ، فالعرب الذين قابلتهم فى أفغانستان وإن كانوا فخورين بأصلهم العربى إلا أنهم ما تكلموا العربية – بشكل عام – أمام الآخرين [2] .

وفى أسواق مزار [3] الشريف نصحونى إن سمِعَنا أحد نتكلم العربية أن نقول : إنها لهجة بشتونية ، ولكن لم هذا التكتم ؟ لا أدرى ربما لأنهم أقلية محدودة فى المنطقة يفضلون تميزا أقل

---

[1] – من السهل تفسير هذا بشدة تفخيم الفتحة التى يجعلها أقرب إلى الضمة الخالصة /u/ أو الممالة /o/ ، لأن تفخيم الفتحة يحولها من حركة أمامية إلى وسطى ، ثم إلى خلفية تماما ، لاحظ الشكل

*** رسم

i الكسرة العربية .

U الضمة .

انظر : بشر ، الأصوات ص 198 ، القاهرة 1970

[2] – ربما لأن الآخرين لا يعرفون العربية .

[3] – تقع الآن شمال أفغانستان .

بين الأكثرية ، وربما يكون هذا ما أسهم فى بقائهم لفترة طويلة كمجموعة لغوية تعيش فى منطقة بعيدة جداً عن الوطن الأم .

ب- تاريخ العرب فى آسيا الوسطى : وفقا للمروى هناك كما أُخبرت فى زيارتى للمنطقة أن العرب جاءوا فى الأصل من اليمن فى عهد الأمير تيموركورجان (تيمولنك) .

ويتفق الجزء الأخير من الرواية تماما مع الشواهد التاريخية التى تشير إلى قيام تيمولنك بنفى أعداد كبيرة من عرب دمشق إبان غزوة للشام ليعيد توطينهم فى منطقة بخارى .

وقد لاحظ (كلافيجو) المبعوث الأسبانى إلى تيمور لنك أن العرب الذين كانوا يعيشون فى إقليم سمرقند قد هُجِّروا من دمشق بعد سقوطها 1401م (بارفيلد 1981 : 4) وقد حافظ القوم على طريقة حياتهم البدوية هناك ، وكانوا معروفين فى القرن التاسع عشر بانخراطهم فى تربية الأغنام لصالح سلطنة بخارى ، وفى ذاك الوقت عاشوا فى خيام ، ويقال بأنهم كانوا يعيشون فى رخاء تام (بارفيلد 1981 : 8) .

جـ- خصائص عربية آسيا الوسطى : من الصعب جدا وضع هذه اللهجة ضمن المجموعات اللهجية فى العالم العربى ، لأنها تعتبر مهجورة إلى حد ما ، ففيها تجد التنوين بين الاسم والصفة ، كما فى 3 : أ waldin kab (ولد كبير) .

كما أنها احتفظت ببعض الصوامت العربية فلم تغيرها مثل اللهجة السورية والعراقية ، وهكذا بقيت القاف العربية [9] كما هى فى جميع الأحوال ، مثل /: 90 (قال) .

ولم تتحول الكاف / k / إلى [t s] وبرغم هذا اختلطت الدال بالذال ، مثل ha : d (هذا) والثاء بالتاء مثل sarlab ثعلب .

كما احتفظت بتمييز المذكر عن المؤنث فى الأفعال ، كما فى muadun ذهبوا muadin ذهبن ، وفى katabu للمذكر ,katabin للمؤنث .

على اية حال فإنها من ناحية أخرى خضعت لتأثير اللغات المحلية حولها ، فجعلت الحركة الخلفية [o] الضمة الممالة بديلا عن الفتحة المفخمة [a] كما يظهر فى /:90 بدل /:9a [1] وحولت / : u / إلى / : o / كما فى mo:dzu:d (موجود) كما فقدت الصوامت (ص

[1] - سبق تفسير تحول الفتحة إلى حركة خلفية أقرب إلى الضمة ، بل هى أحيانا تتحول إلى ضمة خالص ، كما فى بعض اللهجات المعاصرة ، ففى مثل الآخر الفصيحة تنطق فى لهجات راخر بالفتحة الطويلة بعد الفتحة الطويلة التى تتحول فى بعض اللهجات إلى (وخر) بضمة خالصة طويلة وهكذا .

– ض ط – ظ) تفخيمها ، ووضعوا سكانها نظائرها المرققة كما فى tin (طين) و zarab [1] (ضرب) و zalma [2] (ضلمة) ، أو (ظلام) .

ويظهر سابق التفخيم فى الصامت أحياناً بنوعية الحركة بعده [3] ، نحو so:r (صار) .

أما الجانب الصرفى من الفعل فهو مميز جدا ، فالسابقة m تحل مكان b [4] فى اللهجات الشامية والمصرية ، كما فى الأفعال :

– maktab بدل baktub (أكتب) وفى الجمع niktib (نكتب) .
– tiktib (تكتب) للمفرد المذكر ، ولجمع المذكر tiktbu:n (تكتبون) .
– tiktibin للمفردة المؤنثة (تكتبين) وكذا لجمع المؤنث ، أى (تكتُبْن) .
– miktib بيكتب (يكتب) ولجمع المذكر miktibu:n ب يكتبوا (يكتبون) .
– tiktib للمفردة المؤنثة (هى تكتب) ولجمع المؤنث miktubin بيكتبن (هن يكتبن) .

والنفى للمتكلم هو lamaktub (لم أكتب) أما ما يبدو أنه كان استخداما إشاريا [5] فى الأصل للواحق المفعول المخاطب فإنها تضاف إلى أفعال الحركة معتلة الآخر ، مثل gadak (غدا) من gada-k .

كما أنها تبنت اللاحقة التركية mi – لتمييز الاستفهام ، كما فى nu : m jak- mi ، هل يغالبك النعاس (النوم) ؟ إضافة إلى ابتكارها استخدام اسم الفاعل متبوعا بالتنوين ، مثل hint battixa ka:linnak-mi (أنت أكلت البطيخ) .وكذا إضافة لاحقة ضمير المفعول للإشارة إلى ما يفيد السكون ، كما فى hinti manymanki (أنت لست نائمة) .

---

[1] – أى تحولت الضمة الخالصة فى (مُوجود) إلى ضمة محالة فى نظر المؤلف ، والرأى أن أصل الكلمة كما فى الفصحى mawdzu:d (مَوْجود) فالذى تحول إلى الضمة المحالة هو فى الحقيقة واو لينة قبلها فتحة ، أى aw ، وهو كثير الحدوث فى اللهجات العربية ، مثل يَوْم ـــ يُوم فى العامية ، وهكذا .

[2] – تحولت الضاد فى (ضرب) إلى زاى مرققة لأن الضاد فى هذه المنطقة ربما كانت تنطق مفخمة ، فكان من الطبيعى أن تتحول إلى الزاى النظير المرقق للظاء .

[3] – هذا صحيح تماماً ، فإن التفخيم يظهر أثره فى الحركة التى تلى الصامت أكثر من الصامت نفسه ، ومن ثم فقد يفقد الصامت شيئا من تفخيم لكن الحركة التى تليه تبقى واشية بما كان قبلها من تفخيم ، كما فى المثال (صار) حيث تحولت الحركة فيه [a :] بسبب شدة التفخيم فيها إلى ضمة ممالة [o :] .

[4] – ذلك لأن كلا الصوتين من مخرج واحد ، هو الشفتان ، ولذا كان من السهل تحول أحدهما إلى الآخر .

[5] – استخدم الكاتب مصطلح deictic use جاء فى معجم علم اللغة النظرى للدكتور محمد الخولى : " deictic نعت مشتق من الاسم deiscis بمعنى إشارة ، أى استعمال كلمة لتدل على معنى نسبى مرتبط بزمان ومكان الكلام ، مثل this , there , now ، فيلاحظ أن ما يطلق عليه now قد يكون ما ضيا فى مناسبة أخرى ، وما هو (هنا) لمتكلم قد يكون (هناك) بالنسبة لآخر ، لأن الكلمات الإشارية نسبية مرهونة بزمان معين ومكان معين ، ولعل هذا يشبه فى العربية الــ التى للعهد ...

هوامش المؤلف

أ – حتّى (1960 : 158) .

ب– انظر أرشيف مكتب الهند الشرقية R/15/5 ، ومن مقتطفات صحيفة (الوكالة السياسة) 27 يوليو 1910م : " وصل إلى الكويت نبأ يقول : إن ابن سويت شيخ قبيلة ضافر ذهب إلى الشيخ خزعل فى الفلاحية ليتوسط بينه وبين الشيخ مبارك ولسياعده فى تسوية الأمور بينهما " . ذلك أن الشيخ مبارك كان يخطط للإغارة على آل سليمان من قبيلة ضافر الذين يضربون خيامهم شمال الكويت .

جـ– مثال آخر مشهور جدا ، هو نهر ميسّورى الذى يشكل كتلة (سيون) اللغوية .

د – وصلتنى هذه المعلومات عن طريق بعض الناس فى قطر الذين اعتادوا – قبل نشوب الحرب العراية الإيرانية – على الذهاب فى رحلات صيد فى هاتيك المنطقة ، حيث قابلوا بعض الذين يدجعون أنهم ينتسبون إلى قبيلة بنى تميم .

المحتويات